المقياس: النص السردي المغاربي: السنة الثالثة / مج :(الثانية) / السداسي:السادس/أ- دربالي

المحاضرة (3) قضايا الرواية المغاربية :السياسية والاجتماعية

تعد الرواية أبرز الفنون الأدبية في التعبير عن توجهات الشعوب، ولقد تأثرت الرواية المغاربية بالظروف السياسية والاجتماعية التي سادت الأقطار المغاربية، وعالجت الرواية العديد من القضايا والإشكالات السياسية والاجتماعية، التي ظهرت إثر فترات التحول الديمقراطي في بلدان المغرب العربي.

أولًا-القضايا السياسية في الرواية المغاربية:

مما هو معلوم أن الأحداث السياسية التي وقعت في بلدان المغرب العربي أثرت في جميع المجالات وخصوصًا الأدبية، وقد تحكمت العديد من الإيديولوجيات في فكر الأديب المغاربي ، وعندما نذكر هنا أن القصة أو الرواية كأيديووجيا نعني بها موقف الكاتب بالتحديد من القضايا السياسية الراهنة ، ومنها سنتناول مايلي :

1-القضايا السياسية في الرواية الجزائرية :

إن الأديب الجزائري لم يكن بعيدًا عن واقعه السياسي ،وخصوصًا وأن الجزائر شهدت تحولات سياسية عديدة ونجد أدباء كثر من أمثال:الطاهر وطار ومرزاق بقطاش ورشيد بوجدرة وعبد الحميد بن هدوقة عالجوا قضايا سياسية هامة في رواياتهم ومن أبرز القضايا السياسية التي طرحها الأدباء في أعمالهم الروائية نذكر مايلي:

أ- سياسية الحركة الوطنية:

تحدث الطاهر وطار في رواياته عن قضايا سياسية ، فتناول في روايته "اللاز" 1972 مشاكل الحركة الوطنية وضرورة إيجاد الحزب القائد والطلائعي الذي تلتف حوله كافة القوى الوطنية ، وتلك هي الصورة التي قدمتها رواية اللاز الأولى والثانية ،وكذا الزلزال 1974 عن الشيخ من خلال طرح الدين كشكل أيديولوجي للتدجين الجماهيري ، حيث أصبحت هذه الكتلة الأيديولوجية دفاعًا عن مصالحها ضد الكتلة التقدمية الشيوعية .

ونجد في قصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" 1984 للطاهر وطار قصة وصفية القصد منها عرض مواقف مختلف المؤسسات والمسؤولين من عودة الشهداء،والقصة محاولة يريد من خلالها الأديب التعبير عن مدى الفرق بين الشعار والعمل،وهكذا يتجلى بوضوح الصراع الأيديولوجي من خلال مضمون النص الروائي عند "وطار" حيث وضعنا منذ البداية على انحياز الأديب إلى اليسار من خلال تلك التحديات التي يرسمها بدقة القطبين الأيديولوجيين،وتعد رواية " الولي الطاهر يعود إلى يعود مقامه الزكي" 1999 للطاهر وطار من أعقد وأخصب أعماله ، حيث تقوم على متخيل غريب مزيج فريد بين الواقع والخيال،وتركيبة عجيبة لأبعاد دينية سياسية تاريخية وأسطورية جمالية وفكرية، والممارسات السياسية والثقافة الواعية التي يتسلح بها الروائي تضمن منطلقًا روائيًا يصلح أن يكون بداية مرحلة صحية في مسيرة الرواية المغربية المتفوقة.

يرى الناقد محمد مصايف بأن الطاهر وطار هو كاتب فكرة بالدرجة الأولى ، فهو يعبر عن موقف شغله منذ زمن، ولعل هذا مايسمح له أحيانًا باعتبار شخصياته شخصيات واسطة، وإذا بحثنا عن الحدود الفنية لهذا الجنس ألفينا الحياة الاجتماعية والاهتمامات القومية تطل جميعها على القارئ الواعي .

ومنه يعد الطاهر وطار كاتب فكرة ، وأعماله هي عبارة عن روايات طرحت أفكار سياسية بالدرجة الأولى، وقد أجاد الروائي الطاهر وطار في قراءة المسار السياسي للجزائر ، وكان له موقف إيديولوجي واضح ، وقد اتخذ من الواقعية

الاشتراكية كمذهب وخلفية للولوج إلى عوالم الرواية : من اللاز إلى الزلزال ثم الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي كلها أعمال جسدت التزامه بموقفه السياسي تجاه الحركة السياسية في الجزائر .

ب- سياسة الثورة الزراعية :

تناولت الرواية الجزائرية موضوع الثورة الزراعية ودعمتها، ومن أهمها رواية الزلزال 1974 للطاهر وطار حيث انتقل في "الزلزال" إلى زمان مابعد الاستقلال وبدايات السبعينات بالذات ليخصص روايته لموضوع الثورة الزراعية ،ولهذا فإن روايته تأتي مؤيدة لقرار السلطة في عملها من خلال مشروع الثورة الزراعية، واختار وطار في روايته أن يتناول موضوعه من وجهة معاكسة، فالاشتراكية هنا اشتراكية السلطة ووجهة نظر الكاتب هي نفسها وجهة نظر السلطة، وإذا كانت رواية "الزلزال" للطاهر وطار قد كُتبت لكي تصور بداية مشروع الثورة الزراعية فإن رواية واسيني الأعرج "ماتبقى من سيرة لخضر حمروش كُتبت عام 1980؛ أي بعد مرور مرحلة كاملة ، وهي مرحلة تطبيق الثورة الزراعية، ورواية واسيني الأعرج تقع ضمن الكتابات التي أيدت مشروع السلطة ورؤيتها.

ومن الطبيعي أن يؤيد الطاهر وطار مشروع الثورة الزراعية لكونه ضمن التوجه الاشتراكي،الذي يتبناه في كتاباته، والروائي صاحب موقف ثابت، وهو كاتب ملتزم بالإيديولوجية الاشتراكية التي سادت في مرحلة من مراحل تاريخ الجزائر، وحتى أن القضايا السياسية التي عالجها في رواياته دخلت ضمن فلك الواقعية الاشتراكية.

ج-المضمون الوطني في الرواية الجزائرية :

إن الثورة التحريرية ظلت تؤثر في الكتاب الناشئة الذين عالجوا الكتابة في العهد المتأخر،بل حتى في من واكبوها وعايشوها فظلت في أخيلتهم ،وممن عايشوا الثورة نلفي عثمان سعدي،الذي ضمن مجموعته القصصية سبع مجموعات تناولت كلها مضمونًا وطنيًا،ونشرعبد الله خليفة الركيبي قصص قصيرة من بينها "الطاغية الأعرج والكاهنة" 1954، وتميزت قصصه بخصائص متميزة بالإضافة إلى الأسلوب والأحداث والوقائع التاريخية التي ضمنها القصة ، وكانت تدور في معظمها حول المقاومة والثورة على الاستعمار، ونجد الروايات الوطنية معظمها ألفت في فترة الاحتلال الفرنسي، وفي هذا الصدد إن ما يعنينا في كاتب جزائري معاصر أن يكتب، فيمثل أدبه المجتمع الجزائري بكل مافيه من عيوب ومشاكل وتناقضات ومآسي اجتماعية .

د- النقد السياسي في الرواية الجزائرية :

تملك الأديبة مليكة مقدم رؤية نقدية ففي روايتها "الممنوعة" سلطت الضوء على إحدى تفرعات اللهجة الجماعية للبرجوازية الصغيرة،والمتمثلة في الخطاب النسوي، حيث تعلن سلطانة بطلة الرواية تمردها على النظام الأبوي الجائر، وتدخل في التقاليد في مواجهة مع التقاليد الاجتماعية والسلطة السياسية ،التي استولى عليها أنصار الفيس.

نجد الكاتبة مليكة مقدم انتقدت اليمين المتطرف المتمثل في حزب الفيس ، وتمردها هنا ضد التقاليد الاجتماعية والسياسية، ودعت إلى تحرر من كل القيود،وقد حملت التيار اليساري في الجزائر كل مسؤولية في التخلف والظلم.

ويعد مرزاق بقطاش صاحب موقف سياسي ، فقد انتقد من يحاول تدنيس الثورة واستغلالها لتصفية حساباتهم القديمة،وجعلها مطية للوصول إلى مطامعهم السياسية ، وقد تعرض مرزاق بقطاش لمحاولة اغتيال في التسعينات مما تسبب في إصابته بأضرار مادية ومعنوية، وله في روايات طيور في الظهيرة 1976 وخويا دحمان 2000 ودم الغزال 2002، ويمتلك مرزاق بقطاش فكر تحرري، ومن رواياته التي صورت العشرية الدموية (الإرهاب) دم الغزال وفيها رصد لظروف الأزمة ومافيها من عنف سياسي.

و–حضور القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية :

إن معظم النتاج الروائي العربي الذي عني بقضية فلسطين يتسم بخصائص تكاد تكون واحدة في الأغلب الأعم ونذكر هنا الدور الذي نهضت به هزيمة حزيران 1967 في خلخلة البني المكونة للمجتمع العربي، وفي هذا الصدد يرى بعض النقاد بوجود تشابه بين الأعمال الروائية الجزائرية والفلسطينية، ويعود هذا التشابه إلى مرجعه الواقعي أي إلى تعرض الجزائر وفلسطين لشكل استعماري واحد يقوم على الاستيطان، وابتلاع الأرض من أصحابها الشرعيين،والقضية الفلسطينية بواقعها هي قضية عربية تمس كيان المجتمع العربي وتهدد مستقبلة،وقد تركت بذلك تأثيرها الواضح في واقع الحياة العربية، وفي سياق متصل يقول د.عبد الله الركيبي:" وبالرغم من الحواجز ، التي ضربها الاستعمار،وحاول أن يفصل بيننا وبين إخواننا في المشرق،فإن شعراءنا وأدباءنا هنا قد أحسوا بمأساة".

لقد شكلت قضية الفلسطينية علامة فارقة في الكتابات الأدبية العربية ، وخصوصًا المغاربية ، وسالت الأقلام الأدبية للتعبير عن التضامن مع الشعب الفلسطيني، وعلى سبيل المثال لاحظنا الحضور اللافت للقضية الفلسطينية في رواية كيماتوريوم "سوناتا لأشباح القدس 2008" لواسيني الأعرج ، فالرواية سلطت الضوء على مأساة امرأة فلسطينية من أصول ببرية أندلسية تسمى "مي" غادرت القدس سنة 1948 في ظرف قاهر .

ومنه إذن فالرواية الجزائرية عالجت قضايا سياسية عديدة ، ولمسنا جرأة عند الأدباء في طرح مواقفهم السياسية ومن أبرز الأحداث السياسية التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال سياسة الثورة الزراعية وأزمة العشرية السوداء.

2–القضايا السياسية في الرواية التونسية :

عالجت الرواية التونسية قضايا وإشكالات سياسية عاشها المجتمع التونسي ، ويأتي في مقدمتها مايلي :

أ– قضية الصراع الإيديولوجي:

تشترك الرواية التونسية مع بقية الرواية في القطرين الشقيقين(الجزائر والمغرب) في تناول الصراع الأيديولوجي المتعدد الأطراف، والمتداخل فلسفيًا وفكريًا كما كان الحال عند عبد الله العروي ، وتشكل الصراع عند محمد لعروسي المطوي بين قطبين أساسيين، واهتمت الرواية التونسية من هذا المنطلق بالواقع التونسي المزري مع بداية الستينات محاولة تعليق تلك الأوضاع الحاضرة على ماضي البلاد وخلفها وراءه معبرة عن مصالح الطبقة الشعبية الفقيرة والمفقرة من طرف الاستعمار،وهي التي كانت وقود الثورة ونارها التي أحرقت العدو في ضوء التوجه الأيديولوجي، ورأى الأدباء أنه من واجبهم معالجة قضايا مجتمعاتهم ، فناقشوا قضايا سياسية هامة وأشاروا إلى مايعانيه الفرد التونسي من صراع من أجل الحياة ، وواكبوا حياته اليومية في الريف والمدينة والأوهام الناتجة عن النزوح والهجرة ، وعن قسوة رأس المال الجديد واستغلاله لكده .

ب–قضية الحرية :

طالب الأدباء بالحريات الفردية ، وبالخصوص حرية التعبير والتفكير،وقد لاحظ بعضهم أن الحركات الثورية تبدأ جماعية واضحة المرامي ثم يتقلص نفوذ الجماعة وتتجمع السلطة لدى مجموعة محدودة من الأفراد إلى أن تبلغ درجة الحكم المطلق، وعبر عنها الأديب عز الدين المدني في مجموعتيه القصصيتين "خرافات" 1968 و"من خرافات هذا الزمان" 1982 وفي روايته"العدوان 1988" لقد ظهر الكاتب في جميع هذه المؤلفات شديد التعلق بقيمة الحرية، ولقد تميزت مسيرة هذا الكاتب الأدبية بالبحث الدائم عن أشكال تعبيرية طريفة تنطلق من التراث لتوظيف مادته التاريخية وأشكاله الفنية لكن تتجاوزه بحركة "تجريبية" لاتطمئن إلى يسير الحلول وجاهز القوالب،وفي سياق متصل سخرت

الكاتبة التونسية فاطمة سليم فنها القصصي للدعاية السياسية في مجموعتيها نداء المستقبل 1972 وتجديف في النيل 1974 ، وتناول علي الدوعاجي(1909–1949) معاني الحرية في أعماله "سهرت منه الليالي" 1979 وله "جولة بين حانات البحر المتوسط" 1973 وفي أدبه عمومًا جنوح إلى المسائل الوجودية العميقة ،التي ترتدي ثوبًا من السخرية والتهكم في لغة مباشرة تستقي من العامية بعض عباراتها وصورها .

ومنه فقد عبرت الرواية التونسية عن مطالب سياسية حقيقية، وهنا يتبن لنا مدى التزام كتاب الرواية في تونس بقضايا مجتمعهم ورغم الكبت السياسي إلا أن جرأة هؤلاء الكتاب ظهرت في رواياتهم .

ج– قضية الوطنية :

عبرت أقاصيص محمد المرزوقي عن مضامين وطنية فنجد "أحاديث السمر " 1973 وهي امتداد لمجموعاته بين زوجتين 1953 وعرقوب الخير 1956 في سبيل الحرية 1956 وكلها تتضمن أقاصيص لاتبتعد عن المواضيع الوطنية والعائلية،وتتكشف مواقف الكاتب بيسر عن طريق تدخلات الراوي المتكررة، وتظهر في العديد منها نكهة البادية التونسية، ونفس الملاحظة تنطبق على محمد الخموسي الحاشي أخذ منذ مطلع الثمانينات ينشر المجموعة تلو المجموعة نفس القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية في درب العودة 1981 وعندما يغربل التراب 1983 وهو لايكاد يخرج في المجموعات الأربع عن تصوير مشاهد البؤس في الريف ونضال الشعب الفلسطيني وصموده.

وتتدرج أقاصيص عبد الواحد إبراهيم في المحور الوطني والواقعي ، وذلك في مجموعته الأولى "ظلال على الأرض 1973 ،وأما محمد مختار جنات فضاعف هو الآخر نشاطه الروائي بنشره لمجموعتين قصصيتين الأولى بعنوان "الفرجة من الثقب 1981 والثانية بعنوان "سطوح الغسيل" 1982 ، وهؤلاء القصاصون قد آمنوا بجدوى فن الأقصوصة في تصوير الواقع وتوجيه المجتمع نحو نظام أخلاقي اقتنعوا بصحته ، فثبوا على الإنتاج .

وأصدرت السيدة ناجية ثامر مجموعات قصصية عديدة ثلاث منها في 1956 عدالة السماء وأدنا الحياة والمرأة والحياة ، وسمر وعِبر 1972 والتجاعيد 1978 وكلها تُعالج نفس القضايا الاجتماعية والوطنية بنفس الأسلوب الوعظي ونفس الجمالية التقليدية في كتابة الأقصوصة،ونجد نفس المثابرة على الإنتاج القصصي المنتظم عند يحي محمد،الذي استهله في أواخر الستينيات بمجموعته "نداء الفجر 1969، وهنا نلاحظ المزج بين التوجهين الوطني والاجتماعي في الفن القصصي التونسي .

برز الاهتمام بالقضية الوطنية في أعمال العروسي المطوي ؛ حيث أصدر أعمال "ومن الضحايا" 1956 والتوت المر 1967،ومجموعته القصصية "طريق المعصرة 1981 وهي مستوحاة كلها من أحداث الحركة الوطنية والصراع ضد الاستعمار الفرنسي، ونجد أن محمد الصالح الجابري في رواية "يوم من أيام زمرا" 1968 يعد من أهم ممثلي هذا الاتجاه،والواقع أن محمد المختار جنات أخذ مسألة الوطنية مأخذ جد،فغاص في تفاصيل كثيرة في رواية صدر الجزء الأول منها بعنوان "أرجوان" 1970 والجزء الثاني 1972 بعنوان"خيوط الشك" وأضاف رواية وطنية بعنوان "نوافذ الزمن" 1974،ولاشك أن هذا الكتاب قد ساهم في تطوير الرواية الوطنية إلا من مؤلفاته قد ظهرت في غير أوانها،وظهرت المعاني الوطنية في رواية عبد الرحمان عمار في حب وثورة 1969 و"عندما ينهل المطر 1975 ومحمد الصحبي الحاجي في رواية "الثائر" 1970 والحبيب بن سالم في "ونّاس" 1973 ورواية محمد ابن عاشور "في البحث عن الأوراق"1974 فهي بحث عن الهوية وتحول من الشك إلى الإيمان، وروايته الثانية"حب في المدينة العتيقة 1980،ونلاحظ أن الرواية الوطنية انتهى أمرها منذ 1975 إذ لم تعُدْ مضامينها متماشية مع الأوضاع الجديدة خاصة

السعي إلى تطوير أشكالها كان متواضعًا رغم جهود محمد مختار جنات، فالمرحلة التاريخية تقتضي نوعًا روائيًا آخر أقرب إلى الاهتمامات الاجتماعية.

وقد مثلت رواية "الدقلة في عراجينها" 1969 للبشير خريف، أنموذجًا بليغًا فيه تتحقق إنشائية الخطاب الواقعي في الرواية العربية الحديثة في شكله الوصفي ،ويؤرخ البشير خريف في روايته الأحداث الاجتماعية والوقائع الكبرى ، ويصور الحياة الاجتماعية في بلاد الجريد في فترة مابين الحربين.

ونشر عبد الرحمان عمار روايتيه"حب وثورة 1969 وعندما ينهل المطر 1975 ومجموعة"وردة ورصاصات "1970 وكلها ركزت على محوري الحب والوطنية.

وهكذا برزت الرواية التونسية في مناخ اجتماعي متميز ووسط ظروف ثقافية واجتماعية ثائرة ،فحاولت التعبير عن كل ذلك واحتوائه ، وعبرت الرواية عن أشكال الوعي السياسي عند الأدباء .

3- القضايا السياسية في الرواية الليبية :

وفي المجال السياسي الليبي نستحضر موقف الأديب الليبي عبد الله الغزال، فهو كاتب له تجربة ناضجة في مجال الرواية، وعالج في رواياته إشكالات هامة،وتطرق عبد الله الغزال لقضايا كانت شبه محرمة قبله،إذ تتوازى في كتابته المسافات بين التابوت كرواية "وتابوت ليبيا الكبير" زمن الطغيان السابق، وكانت الرواية سجلًا لمناقشته حرب تشاد مناقشة الصراع الدولي حول اليورانيوم في الجنوب الليبي.

لقد ظهر البعد الإيديولوجي متحكمًا في كتابات عبد الله الغزال، وقد أحدثت روايته التابوت أثرًا كبيرًا، ومنه فالرواية عبارة عن قراءة سياسية لمرحلة تاريخية هامة تمثلت في الحرب الليبية التشادية، فهي أرخت لتاريخ هام من الصراع السياسي بين ليبيا و التشاد .

4- القضايا السياسية في الرواية المغربية :

في البداية نقول بأن المجتمع المغربي قبل السيطرة الاستعمارية لم يكن مجتمعًا طبقيًا بالمعنى الذي شرحته النظرية الماركسية، ولم يخرج الفكر الإصلاحي المغربي عن الإطار العام الذي وضعته سلفية الشرق،وقد ارتبطت السلفية في بلاد المغرب ارتباطًا وثيقًا بالحياة العملية السياسية ،ولعبت دورًا أساسيًا في مناهضة الاستعمار،والحركة الوطنية ، وهي تتبنى في زعامتها على الخصوص فكرًا سلفيًا إصلاحيًا ، ولم تستطع أن تجاوز من منظورها هذا ونرى بأن البرجوازية الصغيرة قد تمثلت في أشكال متفاوتة من خلال ماينتجه مثقفوها من أدب أحيانًا يميل إلى الدعوة الثورية ، وأحيانًا يميل إلى الارتماء في أحضان الغرب.

نلاحظ أن عبد الله العروي كاتب إيديولوجي مشبع بالثقافة الماركسية ،وتعد روايته الغربة 1971 أحد أشهر أعماله وفيها ظهر توجهه الإيديولوجي ، ومما تداوله الكاتب والسياسي والروائي المغربي عبد القادر الشاوي في روايته "الساحة الشرقية" 1999 بجرأتها على تشخيص ظاهرة الاعتقال السياسي في المغرب،لاداخل السجن فقط وإنما خارجه كذلك ، وقد تقاطع فيها التخييلي بالواقعي ، فالمؤلف قد اعتقل وسجن سياسيًا لسنوات طويلة.

نجد أن الرواية المغاربية حاولت تناول بعض القضايا السياسية ،وكانت الكتابة الروائية وسيلة الأديب في التعبير عن رأيه بعدما فشل في التصريح به ، و من الأدباء من تعرضوا لملاحقة والاعتقال والسجن نتيجة مواقفهم السياسية كمرزاق بقطاش في الجزائر وعبد القادر الشاوي في المغرب ،و لاننسى الأديب الطاهر وطار الذي كانت القضايا السياسية الموضوع الأهم في رواياته .

ثانيًا– القضايا الاجتماعية في الرواية المغاربية :

تعد الرواية أنسب الأجناس الأدبية في التعبير عن قضايا المجتمعات المغاربية، فالمساحة التعبيرية في الرواية أوسع وأكثر استيعابًا لطرح المشكلات الاجتماعية،وفيمايلي سنتناول أبرز القضايا التي عالجتها الرواية المغاربية.

1–القضايا الاجتماعية في الرواية الجزائرية:

ركزت الرواية الجزائرية على قضايا المجتمع الجزائري ، ووجدنا كتاب تخصصوا في هذا المجال، ونظرًا لكثرة المشاكل الاجتماعية، التي تعرض لها المجتمع الجزائري، وجدنا تعدد في المضامين الاجتماعية الروائية ، وقد تناولت الرواية الجزائرية مواضيع اجتماعية عديدة يأتي في مقدمتها :

أ–قضية الفقر :

يعد الفقر سبب مباشر للكثير من الأمراض الاجتماعية،ومن المحاور المشتركة في المضمون الاجتماعي محور الفقر،وإذا راعينا ظاهرة الفقر في حقيقة أمرها فهي تعد أم لكثير من القضايا الاجتماعية،كالنقل والسكن والهجرة وتضمنت رواية"نار ونور" 1975 لعبد الملك مرتاض موضوع الصراع من أجل الخبز، واسترداد كرامة الإنسان المداسة من طرف البرجوازية الفرنسية، وهناك روايات جزائرية أخرى عالجت ظاهرة الفقر خصوصًا في فترة الاحتلال الفرنسي الذي كان فيه معظم الشعب الجزائري فقيرًا .

ب– قضية الهجرة والغربة :

تناول عبد العزيز عبد المجيد في روايته "حورية" 1976 قضية الغربة، وعالج عبد الحميد بن هدوقة في قصتي الرسالة والمغترب قضية الهجرة ، والحق أنه لم يعالج موضوع الهجرة معالجة حقيقية إلا في المغترب والملاحظ أن عنوان "المغترب"هومشترك بين عبد الحميد بن هدوقة ومصطفى الفاسي ،فإن الأول كان الأسبق إلى اصطناعه فإننا نلفي مصطفى الفاسي عالج موضوع الهجرة في صميمها، وتناول واسيني الأعرج بالبحث إبداعيًا إشكاليات الغربة في روايته كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس 2008 ، وله رواية "البيت الأندلسي" 2010 وهي روايات حاولت طرح قضية المغربين من جوانب عديدة .

ونجد أن موضوع الهجرة والاغتراب من أهم القضايا الاجتماعية التي تناولتها الرواية الجزائرية بعد الاستقلال.

ج– قضية الأرض :

نجد أن رواية عبد الحميد بن هدوقة ريح الجنوب 1971 المعنية بقضية الأرض،من خلال رصدها لتعاون الإقطاع الجزائري مع سلطات الاحتلال الفرنسي،ولتملقه الثورة التحريرية التي أنجزت الاستقلال لتنجو من قوانينها،ونجد رواية الأرض والدم 1957 لمولود فرعون تحدثت عن علاقة الجزائري بأرضه،وتناول الطاهر وطار في رواية الزلزال 1974 موضوع الأرض من وجهة نظر مغايرة للنتاج الذي سبقها، وتتجلى المقاربة الواقعية الاشتراكية في الرواية من خلال مقاربتها للثورة الزراعية التي تلت الاستقلال بوصفها تعبيرًا عن فعلين معًا:إعادة توزيع الملكيات الزراعية من جهة، وتغيير الحياة الاجتماعية في الريف الجزائري من جهة ثانية.

ولم تتشكل قضية الأرض في النتاج الروائي الجزائري تيارًا واضح المعالم، إلا بعد الحرب العالمية الثانية ،ويمكن تقسيم ذلك النتاج الروائي إلى: الأول: يعالج قضية الأرض كما تتجلى في المرحلة التي سبقت الاستقلال الوطني.

الثاني : يتناولها في ظل الثورة الزراعية

ومنه ظهرت قضية الأرض مع سياسة الثورة الزراعية ،التي رفعت شعارات كثيرة ارتبطت بخدمة الأرض.

د–قضية المرأة :

ظهر جيل جديد من الأدباء طرحوا قضايا ماكانت لتطرح في تلك الفترة كقضية المرأة مثلًا ،التي تبناها أحمد رضا حوحو (غادة أم القرى) ثم زهور ونيسي،وتميزت كتابات زهور ونيسي بغناها السياسي والاجتماعي والفكري والنضالي وتركيزها الشديد على عنصر المرأة الجزائرية زوجة أو أمً ا مثقفة أو أمية أو حضرية ، ولقد عبرت عن هذه الصورالإنسانية في مجموعتها الأولى "الرصيف النائم" 1967 خير تعبير، ثم ضمت كل قصصها إلى مجموعتها الثانية على الشاطئ الآخر 1974، وعالجت زهور ونيسي في "ابنة الأقدار" موضوعًا اجتماعيًا،وهو الخيانة الزوجية وتحدثت عن دور المرأة الجزائرية في حرب التحرير ،فقد طُرحت قضية المرأة إبان فترة الاحتلال الفرنسي، وإن قضية الموقف الجوهري من المرأة ، ينتج عنه الموقف من قضية الحب ،التي شكلت أحد محاور رواية صوت الغرام 1969 لمحمد منيع ،ونجد تحليق في المثاليات عن طريق نموذج المرأة الواعية،التي تحاول "رواية دماء ودموع " 1978 لعبد المالك مرتاض تحديد سماتها، وحاول مرتاض عرض العلاقة بين المرأة والواقع من جهة والرجل والمرأة من جهة ثانية.

ونجد حضور المرأة في راويات عبد الحميد بن هدوقة ريح الجنوب 1971 ونهاية الأمس 1975"وبان الصبح 1981 الجازية والدراويش 1983 وغدًا يوم جديد 1993 فتعتبر المرأة تيمة مهيمنة في رواياته :نفيسة رقية، دليلة وكلهن ينتمين إلى سجل السرد الواقعي ،حيث تتم معالجة العلاقات الاجتماعية في ضوء مؤسسة الزواج القسري .

واتضح في رواية "عزوز الكابران" 1989 لمرزاق بقطاش أن أدوار النساء إنما جاءت لتكمل وتوضح الصورة البشعة لأزواجهن المسؤولين ورجال السلطة في البلدة ،فالرؤية إذن تقدم أفراد هذه الفئة كلهم في صورة بشعة وسيئة ،ونجد نموذج المرأة الواعية التي تقف على تربة صلبة بجانب الرجل في نضالاته ضد كل القيم المتعفنة في رواية الطاهر وطار "العشق والموت في الزمن الحراشي1980،ونجد المرأة في رواية "خيرة والجبال" 1988 لمحمد مفلاح ، وكتبها عن أمه ،فيقول محمد مفلاح: "بكت خيرة ،رفضت أن تكون مجرد امرأة ، فهي لاتريد أن تعيش حياة عادية مثل الأخريات لا هم لهن إلا شؤون البيت" ، وهنا رفض الأديب الصورة النمطية للمرأة بكونها ربة بيت وتربي الأطفال إلى وظائف أخرى يُمكن أن تتقلدها المرأة

لمسنا تعاطف الأدباء مع المرأة الجزائرية المهمشة من الأدوار الاجتماعية والثقافية والسياسية ، ولاحظنا عناية شديدة من الأدباء في التطرق لمشاكل المرأة ، ودعوا لتحررها ومساواتها مع الرجل .

و–قضية الصراع الطبقي :

ومن الروايات الجزائرية التي تناولت الصراع الطبقي نجد رواية الخنازير 1985 لعبد المالك مرتاض،التي جسد من خلالها الصراع الطبقي في المجتمع بين ثلاث فئات (الفئة الأولى:فئة البيروقراطية والانتهازية والخونة ، والفئة الثانية: الشهداء وأبناؤهم..والفئة الثالثة: الصراع بين المعربين والمفرنسين) والكاتب في هذه الرواية عالج إشكالية الصراع الطبقي ، وأثاره السلبية على تماسك المجتمع الجزائري ، وركز علاوة بوجادي في روايته "عين الحجر 1979 منذ البداية على موضوع رئيسي قضية الطبقية أنماط العيش وأساليب الحياة ،وطبقة الفارق بين أفراد المجتمع، وأحداث الرواية تدور زمانيًا في المرحلة الأولى لاستقلال الجزائر إلى أن الوضع الاجتماعي ومن ثم الطبقي ظل على الحالة نفسها التي كان عليها زمان الاستعمار، ونجد أن الطاهر وطار في رواية "الزلزال" والطعنات واللاز ،وابن هدوقة في رواية "نهاية الأمس" وريح الجنوب تتحدث عن مشاكل الطبقة الكادحة.

هـ- طبيعة السرد الاجتماعي في الرواية الجزائرية:

عالجت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية منذ انطلاقتها في بداية السبعينيات مختلف الإشكالات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها الجزائر المستقلة،وبالإضافة لكون رواية جيل السبعينات هي رواية البوجوازية الصغيرة المثقفة، كما أنها لم تخرج عن جدلية التاريخ والواقع المعيشي ،والمكتوب في الرواية هو المثقف المأزوم بإشكالية الواقع ،فقد تناولت المصائر الفردية والجماعية للإنسان الجزائري،وصيرورة هذه المصائر في أطار مسار الثورة التحريرية رواية اللاز مثلًا ،أو الثورة الاجتماعية التي أعقبت الاستقلال رواية "ريح الجنوب والزلزال فقد كان الارتباط بالواقع المرجعي هو دائمًا المحور الأساسي لهذه الكتابات التي تنطلق منه وتعود إليه وباعتبار أساسيًا في كل النماذج المكتوبة،لكن صمن تصور إيديولوجي يشيد بالثورتين لارتباطهما معًا.

نلاحظ تفاوت بين الأدباء في الاهتمام بالمواضيع الاجتماعية فبينما ترقى لدى أحمد منور في مجموعة "الصداع" وترقى لدى مصطفى الفاسي في مجموعة "الأضواء والفئران "وترقى لدى الحبيب السايح في مجموعة "القرار" نجد هذه النسبة لاترقى لدى عبد الحميد بن هدوقة في مجموعة "الكاتب"،ولعبد الحميد بن هدوقة مجموعة"الأشعة السبعة" فلن نجد فيها إلا أربع قصص اجتماعية المضمون من بين الإحدى عشرة اللواتي يؤلفنها، وهذا يؤكد على كتاباته القصصية ذا ميل اجتماعي قدر ماكان وطني النزعة إنسانيًا .

ومن القضايا اجتماعية عند محمد ديب في أولى رواياته الدار الكبيرة 1952 والحريق 1954 والنول 1957 عن معاناة شعب بأكمله في مرحلة الاستعمار، ويمكن القول بأن الغاية من لجوء محمد ديب إلى تصوير الحقائق الاجتماعية والسياسية ربط الأدب بالحقيقة أو روائية الحقيقة،حيث صور الأحداث الحقيقية بنوع من البراعة الأدبية

كان التزام الأديب الجزائري كما يرى الطاهر وطار نابعًا من اقتناعه في إطار الأيديولوجية الاشتراكية ، وأن يكون كالتزام العامل المناضل ،الذي لاييأس من صلاح الأوضاع ،ويتحمل من أجل المحافظة على الخط الاشتراكي

وإن هذا النزوح المجتمعي الحاد،الذي طبع أفاق عشريتين بعد الاستقلال كان مرجعيته من متن اجتماعي توحدت فيه كل الرؤى ،والتصورات لتنتهي إلى الواقعية منهجًا في معالجة القضايا الحيوية المختلفة،وهي معالجة لم تخرج عن الرصيد السطحي لنوعية الصراع،فاعتمدت على الخطاب المباشر "مما أسقطها في الشعارية والسطحية وابتعدت عن الفن وعن الجمالية"ولعل الدراسة التي قدمها عبد المالك مرتاض في كتابه"القصة الجزائرية المعاصرة" والتي توصل من خلالها إلى عنف المضمون ، وطغيان البعد الاجتماعي في سبع مجموعات قصصية ،ولكن أغلب الكتابات الروائية لم تفلح في الخروج من دائرة هذا الاجتماعي الطاغي، وهي فكرة يدعمها محمد مصايف حيث يشير إلى أن معظم مواضيع القصة الجزائرية بعد الاستقلال لاتبرح الثورة ومايتصل بها .

ومنه نستخلص بأن الأدباء رغم انشغالهم بقضايا اجتماعية عديدة، إلا أننا وجدناهم أوفياء لموضوع الثورة التحريرية ، وأما عن طبيعة السرد في الرواية الجزائرية، فلم يكن اجتماعيًا خالصًا بل تنازعته مواضيع عديدة بعد الاستقلال ، ولقد تزايد الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية لدى الأدباء في سنوات الثمانينيات والتسعينيات .

2-القضايا الاجتماعية في السرد التونسي :

كان السرد التونسي ذا طابع اجتماعي ، ولعل أبرز القضايا الاجتماعية التي عالجها الأدباء في أعمالهم السردية نذكر منها مايلي :

أ- قضية العدالة الاجتماعية :

نجد صدى قضية العدالة الاجتماعية عند أحمد ممو في مجموعتيه "لعبة مكعبات الزجاج 1974 وزمن "الفئران الميكانيكية "1980 عبرت عن مدولات الاجتماعية،وبحث عن الهوية والتفكير في أوضاع العمال ودور المثقفين أهم المحاور التي تعالجها أقاصيصه، وتميزت أقاصيص رضوان الكوني في مجموعته الأولى "الكراسي المقلوبة " 1973 بنفس النزعة إلى البحث تعقد الحياة الاجتماعية،واقتنعت عروسيّة النالوتي بنفس هذا التوق إلى تفجير المتعارف من الأشكال القصصية لإنشاء عالم خاص فيه الفعل من أجل قضايا الحرية والعدالة الاجتماعية ونلمس في أقاصيص عروسية النالوتي وحسن نصر والطاهر قية روح التغيير ،التي تدفعهم جميعًا إلى تصوير شخصيات ومواقف يفهم منها الاهتمام بقضايا العصر، والتقدم في تونس الرافضة لأوضاع المتردية التي توارثها الأجيال السابقة .

ب- قضية المرأة :

ومن القضايا الهامة في السرد التونسي قضية المرأة، فمحمد صالح الجابري في رواية البحر ينشر ألواحه 1975 وروايته "ليلة السنوات العشر"1982 وفي كلتا الروايتين عناية خاصة بأوضاع المرأة ومنزلتها في التحولات الاجتماعية، وهذه التحولات هي التي ركز عليها محمد الهادي بن صالح في رواياته الثلاث "في بيت العنكبوت 1976 والجسد والعصا 1980 والحكة وانتكاس الشمس 1982 وقد عالج نفس القضايا محمد البادي في رواياته الثلاث "مدينة الشموس الدافئة"1981والملاح والسفينة 1983 وقمح إفريقية، وأما رواية البشير بن سلامة"عائشة" 1982 التي هي امتداد لروايات البشير خريف إذ ترتكز مثلها على وصف الحياة اليومية ،وعالج العروسي المطوي قضية وضع المرأة في المجتمع البدوي الظالم لها في روايته "حليمة" 1964 وهي قصة فتاة بدوية حليمة عانت من الوحدة وظلم الرجال لها في بلدتها،وتناول عبد القادر بلحاج نصر في عمله أولاد الحفيانة 1980 مشاكل التخلف،ونفس هذه النظرة التشاؤمية بارزة في أعمال حياة بن الشيخ،فركزت على صورة المرأة،وتضييق المجتمع التقليدي لحريتها.

لاحظنا عدد كبير من الأعمال السردية التونسية قد أفاضت في تناول قضية الوطنية،وهو مافسر التوجه العام للرواية التونسية ، فهي إما وطنية أو اجتماعية على العموم .

3-القضايا الاجتماعية في الرواية المغربية :

تناولت الكثير من الدراسات النقدية الحديث عن القضايا الاجتماعية في الرواية المغربية الخاصة بالمجتمع المغربي ، والمضامين الاجتماعية حاضرة في الرواية المغربية، ومنها نذكر مايلي:

أ-قضية الأرض :

تميزت قضية الأرض في الرواية العربية المغاربية عامة، وليس المغربية وحدها بتصديها للإقطاع والاستعمار الاستيطاني ، وتعد رواية المغربي أحمد زياد "بامو" 1974 أول عمل روائي مغربي،وهي ترصد نضال الفلاحين ضد الاستعمار الفرنسي ثم وعي مبدعها بجدل البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتعد رواية مبارك ربيع "الريح الشتوية" 1979 أكثر حفاوة بقضية الأرض، وإن "الريح الشتوية" هي العمل الروائي الأول في المغرب ،الذي أظهر انشغال كاتبه بهموم السرد الواقعي، وطبيعة الرؤيا الاجتماعية .

ب- قضية الفقر :

يعد أحمد عبد السلام البقالي أديب مغربي تقليدي صاحب رؤية تعتبر الأدب مخبرًا اجتماعيًا يستدرج القضايا الحضارية الكبرى لكشف خفاياه واستجلاء غوامضها ومن رواياته "الطوفان الزرق"1976 ، و أما محمد شكري فهو من أبرز الكتاب المغاربة اختص في السيرة الرافضة ،التي تصور معاناة الفقراء والبائسين في"الخيمة"1985 وله رواية الخبز الحافي 1982، وتصنف رواياته ضمن ماصطلح على تسميته بأدب المهمشين والمنبوذين والمحرومين.

وتميزت روايات محمد زفزاف بالسخرية والجرأة على إدانة الواقع ،فالبنيات التي يبنى عليها رواياته هي القمع والإرهاب، ومايتولد عنهما من خوف ورعب يسكنان الإنسان،فيحس أنه مطارد في كل لحظة، وأن عرضة للموت ومن هذه الأحاسيس يستمد محمد زفزاف خصائص بنائه السردي ،فالرواية عنده محكومة بتقنية تيار الوعي تتقاطع فيها اللهجات واللغات ،التي عكست عوالم المهمشين والمهربين والعاطلين.

وبقي الواقع الاجتماعي بما فيه من تناقضات وصراعات هو البؤرة ،التي ينصب عليها السرد بتقنيات متعددة منها المفارقة الساخرة، ولقد تشكل الصراع في صور مختلفة كالثورة على الجمود والتقاليد والبيروقراطية والدعوة إلى البناء الحضاري المتين .

وهناك العديد من القضايا الاجتماعية التي عالجتها في الرواية المغربية، وهذا يدل على التزام الأدباء بقضايا الشعب المغربي ، وإن اختلفت عناوين الراويات إلاّ أن الذي جمعها هو معالجة قضايا المجتمع المغربي ، وهو لايختلف عن المجتمعات الجزائري والتونسي والليبي في هذا المجال .

4- القضايا الاجتماعية في الرواية الموريتانية :

تعد رواية "القبر المجهول"(1985) لأحمد ولد عبد القادر عبارة عن قراءة تفسيرية لبنى المجتمع الموريتاني القديم،وتعرية للبنية الأيديولوجية والعقدية لفئات هذا المجتمع،التي تميز بعضها عن بعض، وهي البنى التي تسهم في خلق الوهم ، وانتشار الآراء الخاطئة والأحكام المسبقة،وذلك إليه القبر المجهول ذاته، فهو عمل وثيق الصلة بالواقعية النقدية ،لعل هذا التأمل والتحليل لواقع المجتمع الموريتاني في فترة الثمانينات والتسعينات هوماقاده على إنتاج نصوصه اللاحقة "العيون الشاخصة "2000 و"الكوابيس"2002 .

ونجد في رواية الأسماء المتغيرة" 1981 للشاعر أحمد ولد عبد القادر ذخيرة واسعة عن الثقافة وعن اللغة تخترق المجتمع الموريتاني تمامًا كما فيها محاولة لرصد مستويات الصراع،التي تحكم مجتمعًا تقليديًا متأرجحًا بين انتمائه لشمال إفريقيا وبين انتمائه إلى العروبة شبه واضح ،ومجتمع زنوج انتماؤه الإفريقي، وأما رواية "مدينة الرياح" لموسى ولد أبنو فيها تنوع سجلها الثقافي ولغزارة الأحداث والوقائع .

ومنه إذن فقد لاحظنا بعض القضايا الاجتماعية كالفقر والمرأة والهجرة شكلت قاسمًا مشتركًا بين الروايات المغاربية، ولعل الفن القصصي هو أقرب الفنون الأدبية من الواقع الاجتماعي، فواقعية الحياة لاتجد تعبيرًا شاملًا لها أكثر مما تجده في الرواية، والفاصل بين الحياة وواقعها في الرواية يظل فاصلًا وهميًا بسيطًا، ونحن حين نصف العمل القصصي بالقرب الشديد من الحياة الواقعية ،إنما نصف العمل القصصي التقليدي الذي يُقدم لنا عالمًا محدّدًا فيه حكاية ذات حوادث واضحة ، وشخصيات تعرف لنفسها هدفا اجتماعيًا وسياسيًا ونفسيًا وتسعى إلى تحقيقه .

وارتباط الرواية بالواقع ،ونقلها عنه لايعني ظهور الأحداث كيفما اتفق أو التصوير الفوتوغرافي للمجتمع فالأعمال القصصية التقليدية كثيرًا ماتعني بالتسجيل الواقعي والواقعية التسجيلية علامة على وجهة نظر خاصة.

يشكل الفن الروائي مكانة مُعتبرة في حياتنا الواقعية والفنية والجمالية على السواء، وإن هذا الفن الأدبي الجميل في تناوله لقضايا الإنسان ومصاعبه الحيايتة، كونه قد حاول أن يقربنا من تاريخينا الاجتماعي ، فقد طفق يتلمس الكثير من مسائلنا الاجتماعية الخاصة بذواتنا ،وبدرجة أخص في هذه المدد المتأخرة إذ بواسطة هذا الفن الروائي .

وعلى الرغم من كون الخطاب الروائي في الأقطار المغاربية طرح مسألة التأصيل على خلاف الشعر المتجذر في التراث العربي من حيث الإبداع والدراسات النقدية ،وبالتالي فإن جنس الرواية في الأقطار المغاربية ظل يبحث عن خصوصيته أو حتى هويته لا من حيث الإبداعية ، فحسب بل من حيث اشتغاله على حقول مختلفة من القضايا الاجتماعية والسياسية .

ومنه إذن فالرواية المغاربية عالجت قضايا سياسية عديدة ارتبطت بالتحولات السياسية ، التي مرت بها أقطار المغرب العربي، ووجدنا تقريبًا نفس القضايا السياسية المعالجة بين الأدباء في رواياتهم ، ونفس الشيء يقال عن القضايا الاجتماعية ، فشكلت قضايا الفقر والهجرة والمرأة والتهميش قاسم مشترك بين الروايات المغاربية .